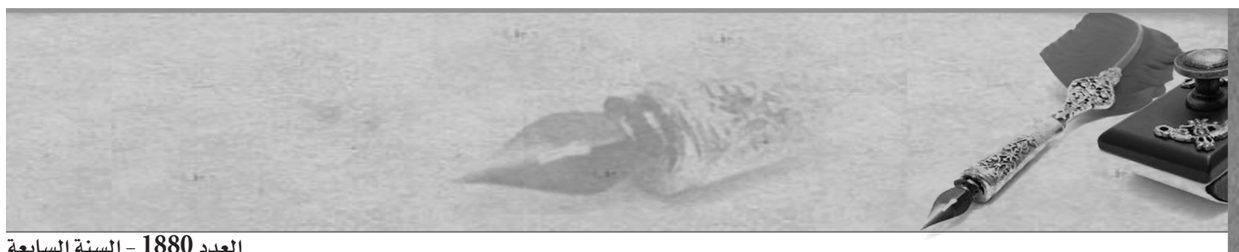

العدد 1880 - السنة السابعة
الجمعة 8 شعبان 1436 - الموافق 6 يونيو 2014
Friday 6 June 2014 - No.1880 - 7th Year

خلال كتاباتي كنت أصرّ على أن تكون الأنوثة متدفّقة في قصائدي

راضية الهلولي : أنا أكتب بشكل مختلف عن بقية الشاعرات في تونس

راضية الهلولي

شاعرة يترنّم قصيدها بالجرأة والحنين، أحلامها بلا سياج وأمنياتها قصيدة عذراء... لا تشبه شاعرات بلدها تونس... وحدها تحتل الخلق الرفيع والتواضع وبين الشعر والحب... أنثى متجددة لا يعرفها الا من يسكن قصائدها.... شاعرتنا صادقة وعفوية لا تخشى شيئا ولا تتنازل مقابل الصيت والشهرة... الحب عنوانها والقصيدة سبيلها ومهما قلت عنها فلن أوفيها حقها لأني شخصيا من أشد المعجبات بما تطرحه من شعر وجمال وتميز.. هي الشاعرة التونسية: راضية الهلولي التي تدرك أن الحبّ له تفاصيله الصغيرة مثل الحياة... فركّزت اهتمامها على عناصر الحبّ... وعلى لحظات الحبّ والعشق فاختطفتها... وصاغتها... فتميّزت بها عن أبناء جيلها من الشعراء المحبّين الذين غاروا كثيرا في المطلقات، والمسائل الكبرى في الحبّ والغرام فلم يبدع منهم إلاّ القليل لأنّها لم يخرجوا عن السائد، ولم يتمكنوا من التجاوز.

وما أتمنّاه أن تحفر راضية أكثر في أعماقها وتستغل على القصيدة وأن تبدع دوما في صياغة النص القصير الذي عرفت به فبذلك تقول بقوّة ها أنذا وينكشف عليها الشعر كاملا، مكتملا عاريا إلاّ من حقيقته.

‹ الشاعرة التونسية راضية الهلولي متى بدأت حكايتك مع الشعر؟ وما أول قصيدة كتبتها

– بدأت حكايتي مع الشعر ذات فرح طفوليّ وأنا على مقاعد الدراسة بالمعهد في ثاني سنوات الثانوي نظر لي أحدهم وقال لأجل عينيك عشقت الهوى لم أفكّر في البحث لمن هذا الكلام أو هذه الأغنية كلّ ما صدر منّي هو أنّي أطلق قلبي جوابا لم أفكّر كثيرا به وقلت: لأجلك أنت عشقت الهوى.

كان هذا هو مطلع شيء ما بداخلي لم أفهمه هو احساس غامض وغريب لكنّه غنيّ بالفرح أسرني هذا المقطع وطوّق أفكاري وبقي يلحّ بحضوره وبأن أكملي مازال في نبضك ما يكتب وأخذت قلمي كنت في الفصل أتابع الدرس ولا أتابع وهاجمني احساس عال بالرغبة في الكتابة ومن يومها بدأت حكاية جميلة.

‹ الأنوثة والحنين كانا من أبرز الدوافع التي جعلتك تطرزين القصيد بالجمال، هل هما نقمة أم نعمة بالنسبة لراضية الهلولي؟

– من الأشياء الهامّة جداً لديّ أن تكون المرأة أنثى عالية الحنين والحنان وأنا من خلال كتاباتي كنت أصرّ على أن تكون الأنوثة متدفّقة في قصائدي وفي مفرداتي وفي اختياري لكل كلمة بعناية قلبيّة بالغة العواطف والعطف واللطف والعزف على نبضاتي وأنا أكتب أنهمر رقّة ووجدا وتطرّفا تطرّفا جميلا أطرّز من خلاله أحلى قصائدي وطبعا لأنني أنثى وكنت دائما فخورة ومعتزّة كوني امرأة أنيقة الأنوثة والا ما جدوى كتاباتي اذا كان القارئ لا يشعر وهو يقرأ أن من كتب هذا النص هي امرأة أرفض وبشدّة أن تشبه قصائدي ما يكتبه الرجال من الأدباء أو الشعراء أومن أنه لا بدّ من التفرّد ولو بالانفاس الأنثويّة المنتشرة في قصائدي أو في كتاباتي عموما.

■ الجرأة في قصائدي واضحة المعالم وأنا أكتب لا أفكّر في ما سيقوله النقاد

‹ الألم مصدر الابداع كما يراه الكثير من الشعراء، ما الموقف الذي أثر في شخص راضية الهلولي وجعلها حبيسة بين الأوراق والدموع؟

– يقول الأديب التونسي الكبير محمود المسعدي «الأدب مأساة أو لا يكون» وهذه القولة فيها جانب كبير من الصحّة لأني حين شعرت بالأعراض الاولى لاصابتي بأنفلونزا الشعر والأدب لم أكن على يقين تام أني سأواصل أنا أصلا لم أكن أفهم الحالات التي تنتابني ولكن أستاذي أيامها في مادّة العربيّة يقول لي ما تكتبينه جميل ومثير ومشوّق وأيامها لم تتوضّح جيّدا علامات الوقوع في هذه المتعة وهذا السحر وأيضا هذا الوجع وبدأ الأصدقاء يعرفون أن راضية تكتب ولكن أيامها من يساعدني على فهم معنى تكتبي لبنيّة لم تتجاوز 15 سنة أو ربما أقل ولكن كان لا بدّ للقدر من أن يتدخل ويعنف هزّ أركان الأمان في حياتي وزعزع أعمدة الهدوء والسكينة وافتك منّي كميّة هائلة من الفرح أخذ الموت لبنى في غفلة من طفولتها وبداية شبابي كانت في الثامنة من عمرها وكنت في السابعة عشرة أخذ الموت أختي التي ربّيتها في حضني كأم ثانية أنا من اعتنى بلبنى في سنواتها الأولى الى أن دخلت المدرسة كانت تكبر أمامي كل يوم وكان حبي لها يكبر كل يوم فجأة تكسّر كل شيء وتكسّر معه أمومتي وأخوّتي ومحبّتي وقلبي وكل شيء يربطني بها كان ذلك ذات صيف خائن 8 جوان 1983 رحلت لبنى ولم تترك لي الا الوجع ودرجاته المرتفعة وكان لا بدّ من الكتابة وكان قصيد «راضية ترثي لبنى».

‹ أول اصدار لك كان في 1984 تحت عنوان «طريق الحب» كيف ولجت هذا الطريق، حدثينا عن هذا الانجاز؟

– كان اصداري الشعريّ الأوّل بعنوان «طريق الحب» على حسابي الخاص ممّا دفع بأمي الى رهن سلسلة ذهبيّة غاية في القيمة لمنحي الأموال لاصدار مجموعتي الشعريّة وكان من بين أجمل قصائدها أو أجملها على الاطلاق قصيد الرثاء الذي أثر كثيرا في القراء الذين سارعوا لمعرفة حكايتي مع أختي لبنى وانتشر الكتاب في مختلف أنحاء الجمهوريّة خاصة المدن الساحليّة التونسيّة لما كان له من صدى والحال أنّ حادثة موت لبنى كانت حادثة مؤلمة كأن الجميع يريد مشاركتي وجعي حتى يخفّفوا عني وطأة الخسارة والفقدان والحرمان وكنت في المقابل أحبّ أن تصل حكايتي مع أختي الى أبعد نقطة في تونس أخت شاعرة جدا بأختها الصغيرة حتى أنها اتخذتها ابنة توجّعت من أجلها جدا يوم رحلت بسرعة وفجأة ودون سابق ألم ولكن وبين خيوط وجعي المتشابكة بدأت تتشكّل رسومات شفيفة ورهيفة لامرأة قد تكون شاعرة متميّزة في يوم ما.

‹ طالما كنت تناشدين التميز والانفراد بقيمة نتاجك، هل تمكنت الشاعرة راضية من الوصول الى أسمى درجات التميز في بلدك تونس؟

– منذ بداياتي التي أعتزّ بها جدا وكتاباتي الأولى وحتى من خلال قصيدي «راضية ترثي لبنى» كان هنالك التدفّق العاطفي الذي يزداد قوّة يوما بعد يوم وقصيد بعد قصيد وفرح بعد فرح وربّما هذا جعلني في خانة الشعر الرومانسي والرومانسي جدا أنا اكتب بشكل مختلف عن بقيّة الشاعرات في تونس وحتى في خارجها من خلال اطلاعاتي على تجربة الكثير من الشاعرات والشعراء وهذا لا يعني أبدا الغرور أو الثقة بالنفس الزائدة أو التطاول على تجارب الاخرين وحتى الغاء الاخر في حضرتي وفي حضرة شعري وقصائدي اطلاقا والعكس صحيح أنا امرأة خجولة جدا ومحبّة للاخر جدا وأرى بالمعروف وأحترم جدا العشرة والتواصل الانساني وودودة جدا لكني أرفض وبشدّة أن أشبهَ أحدا كنت دائما أبحث عن التفرّد والتميّز من الاشتغال على قصيدي ومحاولة اثراء قاموسي اللغوي واختيار الكلمات والمفردات كأن أختار عبارات مثلا كلمة «اجتياح» وكنا نسمع جميعنا نشرات الأخبار بأن العدوّ الصهيوني اجتاح الحدود اللبنانيّة أو اجتاح الحدود الفلسطينيّة اذن هي مصطلح حربي ففكّرت أن أحوّل وجهة هذه المفردة من الحرب الى الحب حيث أصبحت «يجتاحني حبّك» وهنا أقول: في قصيد «قبل أن أحبك»

قبل أن أحبّك
ويجتاحني حبّك
كنت يتيمة القلب

وأيضا كلمة المهاجمة وكلمة الاحتجاز والأسلاك الكهربائيّة والقنّاصة واهدار الدم كل هذه مصطلحات حربيّة أحوّلها الى معاني ناعمة ورقيقة ودافئة وباعثة على الحب ليس الحب العادي بل الحب المجنون والعنيف حد الموت في من نحب وهذا يظهر جليا في قصيد اجتياح وغيره من القصائد الاخرى وهذا مقطع من:

«اجتياح»
أسلاك كهربائيّة على الأسوار
حرس على كلّ البوابات
جرسي الخاص على مشارف مخدعي
قنّاصة يجوبون المكان على مدار الساعات
فكيف تسلّلت الى دمي
وهاجمت النبض
واحتجزت القلب
واحتجزتني

وهنا أيضا نرى أن اليتم كلمة نستعملها عادة في وصف شخص ما وننعته باليتم في هذا المقطع تحوّل اليتم الى القلب وهذا حسب تصوّري شعور أقسى وأيضا في استعمال كلمة أنفلونزا فهذه الكلمة ارتبطت بأنفلونزا الطيور والخنازير وأصبح مصطلح مقزّز ومقرف لكن في نهاية كلمة أنفلونزا تعني الاصابة بمرض ما اذن أليس الحب باصابة فرفعت عن هذه الكلمة كلّ أعباء النفور ونصّبتها على قلوب العشاق وسميتها «أنفلونزا الحب» وأقول:

انّي مصابة بك
فاصابتي عميقة
وحالتي حرجة
ان تغلغلتَ أكثر أموتُ
وان حاولتَ الانسحاب أموتُ
فيا ويلي من قلبي
ومنك
لكن لا عليك
فأنا من المبشّرين بالموت حبّا فيك

■ بداية التسعينات أصبح لي شذى خاص وبات حضوري قوياً في المهرجانات الأدبيّة

‹ الجرأة في قصائدك واضحة المعالم، هل تؤمنين بأن القصيدة أنثى يستحق لها الدلال بحرية أم معتقدات المجتمع تفرض بعض قيود الكتابة على المرأة؟

– ما قاله لي المتابعون وما أتت به أقلام ودراسات النقاد أن الجرأة في قصائدي واضحة المعالم وأنا أكتب لا أفكّر في ما سيقوله النقاد أفكّر فقط كيف يمن أن أعبّر عن مشهد ما عن حدث ما عن احساس ما عن تفاعل ما انتابني وتملّكني وأتعبني وعذبني حد الوجع حد الفرح حد البكاء كما أن القصيد ة الأنثى كما قصيد الرجل يستحق لها الدلال بحريّة لأن الكتابة هي بالاساس احساس وتدفق عاطفي جارف كيف يمكن أن تشوّه هذا التدفّق وهذه اللحظات الفاصلة في الكتابة الشعريّة أو الادبية عموما بمعتقدات المجتمع وهل معتقدات المجتمع ترتقي الى ذائقة الفنان وأيضا وجود أب متفهّم ومشجّع ومساند ومدافع عمّا تكتبه ابنته وان كان لا يفهم كثيرا ما تكتبه فهو يراها تضيف وتعطي الأجمل وهكذا كان موقف أبي تجاهي وهذا مهمّ جدا في حياة المبدعة أنا لا شكّ أحترم معتقدات المجتمعات وأحترم من يقف عندها ولو رغما عنه ولكن أليس الفنان هو من أجمل وجوه المجتمع نحن نأخذ المجتمع الى الأجمل والى الأحلى والى الأبهى والى أعلى درجات الرقيّ بالاحساس الانساني أليس الفنان هو من يؤسس للورد في حياة المجتمعات بمختلف اتجاهاتها ومعتقداتها وأنا دائما أنادي وبالحاح على فصل الدين عن الفن بمختلف فنونه الدين شيء مقدّس أنزل من السماء بينما الفن شيء من صنع الانسان فلماذا الخلط بين أمرين لا يختلطان، كما ومن خلال كتاباتي لا أطالب بشيء الا بتوفير حماية عالية الجودة لاحساس المرأة وتمتين مواقفها وعدم السماح لاحد ليقرّر عنها وعدم المساس بذاتها النقيّة والرقيقة والمكتظة حياة أليست المرأة من تهبنا الحياة.

‹ مع بداية التعسينات أصبحت راضية الهلولي الشاعرة الجريئة في مفترق طرق يتطلب منها الحضور في العديد من الأمسيات الشعرية ومسؤولية ارضاء المتلقي، حدثينا عن أثر هذه المرحلة في حياتك؟ و هل

■ في ثورة الربيع العربي بتونس عدد كبير من الشاعرات التونسيات خضن تجربة الكتابة الوطنية

– في بداية التسعينات أصبح لي شذى خاص أصبح حضوري في المهرجانات الأدبيّة التي انطلقت منها وشاركت فيها وتحصّلت على جوائز من خلالها أصبحت أستدعى كضيفة شرف تُعطى الكثير من نجاحها للأقلام الشابة ودعمها بحضوري الى جانبهم ومساندتهم وبدأت الامسيات الشعريّة تتهاطل من كلّ المدن التونسيّة والمهرجانات الأدبيّة التي كانت منتشرة في كل التراب التونسي والحال أن ارتباطي بالصديق الشاعر والصحافي الحبيب الهمّامي بعد قصّة حبّ عاصفة يعرفها المشهد الأدبي التونسي وواكبها وتفاعل معها وراهن على تفرّدها وتميّزها وما ستضيفه هذه الثنائيّة للمشهد الشعري وكانت الاصدارات المتزامنة للشاعرة والشاعر وكان الحدث مجموعة شعرية تحمل عنوان «واشتعل فيّ الفرح» قصائد حب ورومانسية وحالات عشق وخروج عن المألوف الشعري الذي تكتبه المرأة المتكتّمة رفعت راضية صوت المرأة عاليا وتغنّت جهرا بما تحاول الأخريات كبته تحت وطأة التقاليد وسطوة المجتمع الذكوري فانها لم تكسّر أنظمة الأعراف والأخلاق لأنها لم تتغنّ بغير الحبيب عاشقا ومعشوقا وهما أجمل ثمرة لهذا الحب المجنون الذي جمع بين شاعر وشاعرة وهذا مقتطف من شهادة الدكتور محمد البدوي رئيس اتحاد الكتاب التونسيين وقد كتب مقدّمة هذه المجموعة الشعريّة «واشتعل فيّ الفرح» وهنا يبدو واضحا وجليّا لكلّ قارئ عاشق للشعر ما أضافه وجود الحبيب الهمامي في شاعريّتي وفي حياتي فقد جعل منّي امرأة شاعرة عاشقة حد الجنون الشعري والعشقي قد جعل منّي امرأة تتنفّس عشقا وشعرا وهو من يمدّها بهذا الكم الهائل من الفرح اذن باختصار أنا امرأة متطرّفة وشاعرة متطرّفة لا تؤمن بالحلول الوسط في الحب وفي الشعر لذلك أعاني من احساس عالي جدا ورقيق جدا ورهيف جدا وهذا شيء متعب جدا.

‹ من تعتبرينه قدوتك في الشعر؟ ومن أثر في قصيدك أكثر؟

– ربّما في وقت فاصل كان الشاعر الكبير نزار القباني شاعر كلّ العرب وتوفّر مجموعاته الشعريّة وحضوره القويّ يفرض على الجميع قراءته والامعان في تجربته المتفرّدة هذا النهر العاطفي القويّ التدفّق تأثرت به طبعا على مقاعد الدراسة ولكن سرعان ما تجاوزت تأثّري وقرّرت أن أنحت لراضية شخصيّة شعريّة مختلفة لذلك كانت بدايتي الشعريّة الى جانب الرومانسيّة والحب والسحر والعاطفة المجنونة وهنا أعني شعرا طبعا وحتى انسانيّا لأنه لا يوجد فرق كبير بين راضية الشاعرة وراضية الانسانة وهذا كثيرا ما أشار اليه النقاد والناقدات لأن في تونس لنا ناقدات على مستوى عالي من الجماليّة والحرفيّة النقديّة ولحسن حظي تناولن تجربتي وأذكر على سبيل الذكر لا الحصر الناقدة المتميّزة نجاة العدواني والناقدة صاحبة القلم الأخاذ هيام الفرشيشي وكل منهما تنتمي الى جيل وكل واحدة تناولت تجربتي من منظارها الخاص وأنا أكتب لم أفكر يوما في قلم الناقد لأني كنت مؤمنة أنّ الفنان أو الشاعرة أو الشاعرهو من يؤسّس للتجارب النقديّة لأنه هو من يقدّم المادة الشعريّة وعلى الناقد قراءتها كلّ حسب ذاكرته الأدبية والنقديّة وحسب مطالعاته لأنه قصيد واحد قد يختلف النقاد في قراته اذن قصيدة واحدة تنتج عدّة قراءات نقديّة لكنّي عزفت على وتر القارئ باحساس عالي وبنوعيّة شعريّة خاصة لأن من بين جماليّتي الشعريّة كتابة قصيدة الومضة وهذه كتابة صعبة جدا ليست في متناول كل الشعراء بل هي لا يرتكبها الا الشعراء الجيّدون هكذا قال لي النقاد فنقلتُ لكم كلامهم ومن بينهم الناقد والصحافي الأستاذ محمد بن رجب عن دار الصباح التونسيّة وهنا يقول في قصيدة الومضة التي أكتبها «التفاصيل الصغيرة التي لا نعيرها اهتماما في حياتنا العاديّة وحده الشاعر المتميّز يعرف كيف يختطفها ويبدعها من جديد وراضية الهلولي ركّزت على لحظات الحب والعشق فاختطفتها وصاغتها فأبدعت وتميّزت بها عن أبناء جيلها من الشعراء».

■ بعد مجموعتي الشّعريّة الأولى التي صدرت 1984 كان لا بد أن أنتظر إلى حدود 2004 لأصدر مجموعتي الثانية

في ثورة الربيع العربي بتونس عدد كبير من الشاعرات التونسيات خضن تجربة الكتابة الوطنية وتسخير أقلامهن لهذا الحدث، ما دورك حيال الحدث.... الصمت أم الثورة؟

– الثوريّة الشعريّة ليست مرتبطة بحدث ما بالثورة مثلا هل حين تكتب عن الثورة تتحوّل الى ثوري وهل حين تلتقط صورا مع الجيش التونسي وأنت تسلّمه الورد تعتبر ثوريّة وهل حين تصرخ في المنابر دون سابق ثوريّة تعتبر ثوريّة وهل حين تمرّ أمام وزارة الداخليّة وأمام الأسلاك الشائكة بعد أن غادر الرئيس المخلوع البلاد تعتبر ثوريّة فهل قبل الثورة التونسيّة كنا نعاني من نزول حاد في درجات وطنيّتنا وبعد الثورة ارتفعت درجات الوطنيّة..... الوطنيّة عندي لا تقاس بالطول ولا بالعرض ولا بالوزن ولا بالصور ولا بكلام المنابرالذي يذهب مع الريح أما ما ينفع الشاعر والشعر فيبقى في القصيد ودليلنا على ذلك البيت الشهير للشاعر التونسي الكبير أبو القاسم الشابي:

أذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بدّ أن يستجيب القدر

اذن الثورة والنضال من أجل الأفضل هو عمل يومي دؤوب فليس فقط في المناسبات مع الاشارة أني كتبت قصيدا عن احدى أمهات الشهداء التي أعرفها وألتقيها تقريبا يوميا دون أن أعرف أنها أم شهيد كنت أراها تموت يوميّا مما دفعني للسؤال عن تدهور حالتها وهي تشارف الموت أخبرتني أنها أم شهيد مات بطريقة بشعة لم أتمالك قلمي وظلّ ينزف وجعا على هذه الأم الثكلى وكتبت قصيد بعنوان «أنا أم الشهيد».

‹ من وجهة نظرك هل النقد في الدول العربية أصبح عقيما ولا يمنح القصيدة حقها في الدراسة والتدقيق؟

– انّ ما نلاحظه في النقد وتناول القصيد ة في تونس كما في مختلف الدّول العربيّة يحاول أن يكون موجودا قدر المستطاع وقدر الفضاءات المخصّصة لذلك المجلات المختصة مثلا وكان لدينا مثلا عدّة مجلات في تونس من بينها «الحياة الثقافيّة» المتوقفة منذ الثورة وعدّة مجلّات أخرى مختصّة في الأدب من شعر وقصّة ورواية ودراسات نقديّة اختفت بالتدريج لأن وزارة الثقافة التونسية هي من كان يصدرها ومثل هذه المجلات المختصّة لا بدّ من توفر الارادة السياسيّة كي تتواصل لأنها تحت اشراف الوزارة كما أن الخواص ليس بامكانهم انتاج مجلّة بهذا العمق على حسابهم الخاص لأنها مكلفة لذلك وجد العديد والعديد من النقاد ضالتهم في فضاء التواصل الاجتماعي الفايس بوك والأكثر عبر مجلّات ثقافيّة الكترونيّة مختصّة في الأدب بمختلف فروعه طبعا وهذه الفضاءات الشاسعة والجميلة والمريحة لقلب الناقد وقلب الشاعر وقلمهما كما أنّ هذه الفضاءات مكّنت الكثير من الشعراء من التواجد هنا وهناك ووفّرت له فرصة التواجد والانتشار في عدّة دول عربيّة وحتى أجنبيّة من خلال هذه المجلات الثقافيّة الالكترونيّة وقد وفرت لي هذه المجلات بساتين من الصداقات الجميلة الصادقة في مختلف وطننا العربي من المحيط الى الخليج وهذا يبعث فيّ الكثير من البهجة والاعتزاز وحتى الافتخار بصداقات ما كانت لتكون لو لا هذا الاعلام الرّقمي ألم يوفر لي هذا الاعلام صديقة بحجم جميلة القلب والقلم ورقيقة المشاعر وعالية الاحساس والشاعريّة الشاعرة والصحفيّة سناء الحافي وكل أفراد أسرة المجلّة الأدبيّة الالكترونية «أصيلة» وغيرها من مجلّات الاخرى التي أكن لها كل احترام وتقدير ولأسر تحريرها وللأقلام التي تتفاعل معها.

‹ كلمة أخيرة لقراء جريدة الصباح الكويتية؟

– أصدقائي وأحبّتي شرف كبير لقلبي اذ نزل ضيفا على قلوبكم فاحتويتموه بكل هذه الحفاوة الكبيرة والكرم الثنائيّ في الضيافة الشعريّة في أعلى درجات النخوة والاعتزاز كوني يوما مررت بكم فأسَرتم النبض.

غلاف الكتاب

الهلولي في أحد الملتقيات